



محاضرات الخليل

في

الإنشاء العربي

بفقه
خليل مردم بك

رئيس المجمع العلمي العربي
١٨٩٥ - ١٩٥٩

راجع المخطوطة وشرح الفاطمة وعلق عليها

عبدان مردم بك



سوريا - دمشق - شارع ماسم البارودي - بناء غولي وصلاحي رقم ٣٧
هاتف ٢١٢٧٧٣ - ص. ب. ١١٧٢١ - بريدًا: بوشلان - تليكس ٤١١٥٢٩ ومبرل

الشبكة الوطنية للتوثيق

توطئة

كنت ذكرت في توطئة كتاب دمشق والقدس في العشرينيات ، ان الحكومة الفيصلية ، قامت في عام ١٩١٨ بجملة من الأعمال الجليية ، في شتى الميادين الفكرية والعمراية والتنظيم الإداري ، وكان رئيس الحكومة آنذاك الفريق رضا باشا الركابي ، المنظم والمدير لهذه الاصلاحات ، ومن ورائه الملك المحنك فيصل الأول .

وان من أهم ما قامت به الحكومة ، تعريب لغة الدواوين ، ونقلها من التركية الى العربية ، ولقد عهدت الى طائفة من الاساتذة الاجلاء في وضع المفردات العربية ، بدلا عن المفردات التركية الدارجة في الدواوين .

أذكر من اولئك الاساتذة : سليم الجندي ، عبد القادر المغربي ، عبد القادر المبارك ، و خليل مردم بك ، وعهدت الى الاستاذ مردم بك بتدريس مادة الانشاء على رؤساء الدواوين ، إضافة الى وظيفته الأساسية وهي رئيس ديوان تمييز الانشاء التي تعادل الأمين العام .

قامت هذه المدرسة التي أنشأتها الدولة ، وأدت رسالتها على الوجه الأكمل وقد نهل الموظفون من رفدها كل مفيد . وكان أن أصبحت لغة الدواوين في سورية أنقى لغة ، في الوطن العربي قاطبة ، وما زالت حتى اليوم .

ان الدروس التي كان يلقيها الاستاذ مردم بك على رؤساء الدواوين

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مطبعة خالد بن الوليد

الشركة المتحدة للتوزيع

في فن الانشاء بصفة أمالي يتلوها عليهم ، كانت على غاية من التركيز . فلم يترك المؤلف على إيجازها ، شيئاً إلا وأشار اليه ، اذ ابتدأ بتاريخ الكتابة عند العرب ، ثم عصر النبي ، فالخلفاء الراشدين ، فعصر بني أمية ، ومن بعدهم عصر بني العباس ، إلى العصر الحاضر ، وذكر باباً في شروط الانشاء ، وأتى على باب المختارات التي أختارها من شتى العصور .

وعقد فصلاً تكلم به عن شعر الكتاب .

وذكر في آخر الكتاب أسماء طائفة من الكتب التي يستفيد منها القارئ . وكان هدف المؤلف إرشاد كل مطالع الى مطالعة بعض هذه الكتب ، والاستفادة منها .

ان كتاب الخليل ، في اسلوبه ومادته ، وحسن اختياره للامثال والفصول ، على ما فيه من إيجاز ، هو نهج قائم في بابه ، أبان بقصد ، ولم يشهب عما رمى اليه ، وأصاب كبد الحقيقة .

كانت المختارات التي اختارها المؤلف من أجل قطع البيان ، وهي تدل على سعة اطلاع ، وذوق أدبي مرهف ، اذ لا يتأتى لكل أديب أن يأتي بمثل ما جاء به الخليل .

فالتدبر لكتاب السيدة زبيدة للمأمون بعد قتل ولدها الأمين وجواب الخليفة المأمون لها ، يلمس روعة البيان في أسمى صورة ، اسمعها تقول له :

كل ذنب يا أمير المؤمنين وان عظم ، صغير في عفوك ، وكل زلل وان جل ، حقير ، عند صفحك ، وذلك الذي عودك الله ، فأطال مدتك ، وتم نعمتك ، وأدام بك الخير ، ودفع بك الشر .

هذه رقعة الواله ، التي ترجوك في الحياة ، لنوائب الدهر ، وفي

المات لجميل الذكر ، فان رأيت أن ترحم ضعفي واستكاثتي ، وقلّة حيلتي ، وأن تصل رحمي فافعل ، وتذكر من كان حياً لكان شفيعي اليك .

واسمع المأمون ، ما يقول لها :

وصلت رقعتك يا أمّاه ، أحاطك الله ، وتولاك بالرعاية ، وساءني شهيد الله ، جبيع ما أوضحت فيها ، ولكن الأقدار نافذة ، والاحكام جادة ، في قبضتها ، لا يقدرّون على دفاعها ، والدنيا كلها الى شتات . وقد أمرت برد جميع ما أخذ ، لك ، ولم تفقدي من مضى الى رحمة الله ، الا وجهه ، وانا بعد ذلك اكثر مما تختارين والسلام .

وان في باب المختارات جملة ، من كتب عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وكتاب معاوية الى علي بن ابي طالب بطلب الصلح ، لدليل قاطع على سمو البيان العربي ، ناهيك في رد الجاحظ على الشعوبية :

كل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكأنه الهام ، وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا أجالة فكرة ولا استعانة ، وانما ان يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، أو حين يمتح على رأس بر ، أو يحدو بغير ، أو عند المقارعة ، والمناقلة ، فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب ، فتأني المعاني ارسالا ، وتنثال عليه الألقاظ انشالاً ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه احداً من ولده ، وكانوا اميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون . الى آخر المقالة وهي موجودة .

فكتاب المؤلف جليل في نهجه ، جديد في تقسيمه ، وفيه من الذوق السليم في اختيار النصوص والشواهد الشيء الكثير . والعجب ان الاستاذ خليل مردم بك حينما ألف هذا الكتاب كان في ميعة الصبا ، ولم يتجاوز الثالثة والعشرين .

ان الكتاب بمجمله ثبت على كفاءة الخليل البيانية وسعة اطلاعه
الأدبية .

ونشرت مقالا^١ للمؤلف عن أصل المقامات سبق أن^٢ نشر عام
١٩٣٤ في مجلة الثقافة الدمشقية ، وبه رأى^٣ أفرد به دون سائر
المستشرقين والأدباء ، عزّزه بالدليل القاطع ، اذ المعروف ان أول من أتى
بالمقامة وأوجدها ، بديع الزمان الهمذاني ، ولكن^٤ الخليل دحض هذا
القول وأكد ان ابن دريد هو السابق الأول وان البديع ، متبع لا مبتدع .
وهناك مقال عن الشاعر احمد شوقي لم ينشر من قبل .

رحم الله الخليل وجزاه المثوبة والغفران على ما أعطى وقدم .

عدنان مردم بك

★ ★ ★



أما بعد ، فهذه دروس في الانشاء العربي كنت ألقيتها (في مدرسة
الكتاب والمنشئين) ، التي اسستها الحكومة العربية في اوائل سنة سبع
وثلاثين وثلاثماية بعد الألف للهجرة ، لأرباب الوظائف خاصة فكانت
الموظفون تجتمع ضحوة كل يوم في بهو الحكومة لسماع ما يكفى من دروس
الانشاء والنحو والصرف ، وكان عهد الي^٥ بتدريس الانشاء ، فبدأ لي أن
أجمع في هذه الرسالة ما ألقيه عليهم ، مراعيًا ، درجة افهامهم ، لعل
مستفيدا يصيب بها فائدة ، والله الموفق سبحانه .

١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٣٩

خليل مردم بك

تمهيد في الكتابة والانشاء

ينقسم كلام العرب ، إلى قسمين : الشعر ، والنثر ، وكل منهما ، يشتمل على فنون ومذاهب ، أما بحثنا الآن ، فنقصره على النثر ، أو فرع منه ، نعني الكتابة والانشاء اللذين لا بد لطلابهما من الوقوف على بعض العلوم العربية كالنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والاطلاع على كتب البلغاء ، واستقراء كلام الفصحاء ، والنظر في أساليبهم ، واقتفاء آثارهم ، وتتبع مناحيهم في رسائلهم ، ومحاواراتهم والامعان في فهم ما وضعوه من الأشراف^(١) ، والأخذ به كي ترسخ في النفس ملكة يقدر معها صاحبها على الأمانة عن مقصوده ، إذ أن الاعراب وحده غير وافٍ بالحاجة .

ثم لا ينكر ان الكتابة العربية طراً عليها ما طرأ على أهلها من التغيير ، والتبديل ، والصعود ، والهبوط ، لذلك فنحن نتكلم عن تاريخ الكتابة قبل الإسلام وبعده وأيام دول العرب من الأمويين^(٢) والعباسيين^(٣) ، وغيرها ، وبعد افتراضها الى عصرنا الحاضر وما اتت

(١) الاشراف : ج شرط وهو العلامة

(٢) الأمويون : هم بنو أمية ومؤسس الدولة الأموية هو معاوية ابن

ابي سفيان

(٣) العباسيون : هم بنو العباس ومؤسس الدولة العباسية هو

السفاح